﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢٥﴾ [هود: 25]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

القَصَصُ القرآنيُّ عِظةٌ للمُعتبِرين، وتسليةٌ للمُبتَلين

لمَّا بيّن الله تعالى حالَ البُعَضاءِ المُبعَدين، المُفترين على الله الكذبَ المبينَ، وتوعَّدَهم يومَ القيامة بالعذاب المهين؛ ذكّرَهم بعاقبةِ من كذّبَ منَ الأوّلين؛ لتكونَ لهم فيهمُ العِظةُ والعِبرةُ، ولتكونَ تثبيتًا للنّبيِّ الكريم ﷺ وتسليةً، وتأييدًا له وتعزيةً؛ لئلّا يضيقَ صدرُه بشيءٍ ممّا أُمرَ بإبلاغِه حِرصًا على إيمان أحدٍ وإن كان أقربَ الخلائقِ إليه وأعزَّهم عليه[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَذِيرٞ﴾: الإنذارُ: إخبارٌ وإبلاغٌ مع تخويفٍ وتحذيرٍ[2]. وأصلُه منَ التَّخويفِ والتَّحذيرِ ممّا يُخشى منه[3]، ومنه النَّذيرُ بمعنى المُنذِرِ، والنَّذيرُ بمعنى الإنذار، وجمعُه نُذُرٌ[4]. والإنذارُ الإعلامُ بالشّيء يُحذَّر منه، والمُنذِر هو المبلّغُ والمُعلِم بهذا الشَّيءِ. والمُنذِر كذلك الرَّسولُ أوِ النَّبيّ يبلِّغُ الأمرَ العظيمَ من شأن الآخرة يُخوِّفُهم ويحذِّرُهم منها[5].

2) ﴿مُّبِينٞ﴾: البيانُ: الفصاحةُ والإيضاحُ والكشفُ عنِ الشَّيء. وكذلك: ما يتبيَّنُ به الشَّيءُ منَ الدِّلالة وغيرِها من: بان الشَّيءُ بيانًا، فهو بيِّن: اتَّضحَ. وأبان الشّيءُ والشيءَ - يُستعملُ لازمًا ومتعدِّيًا -

(1) ابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 10/465، والبقاعي، نظم الدّرر: 9/264، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/43، والهرري، حدائق الروح والريحان: 12/313.

(2) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، المجمل، والرّاغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (نذر).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (نذر).

(4) الجوهري، الصحاح، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب: (نذر).

(5) الأزهري، تهذيب اللغة، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (نذر).

فهو مُبين: اتَّضحَ إن كان لازما، وأوضحَه إن كان متعدِّيًا[1]. وأصلُه يدورُ حول معنى انكشافِ الشَّيء[2].

ومعنى مُبِين: "مُبَيِّن، أي إنّه مُبَيِّن خيرَه وبركَته، مُبَيِّنٌ الحقَّ منَ الباطل، والحلالَ والحرامَ، ومُبَيِّنٌ أنَّ نبوَّة النَّبيِّ ﷺ حقٌّ، ومُبَيِّنٌ قصصَ الأنبياء"[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

حُجّةُ الله قائمةٌ على عبادِه بإرسالِ الرُّسلِ بِشارةً ونَذارةً

يُخبرُ المولى ﷻ عن نوحٍ عليه السلام، وكان أولَّ رسولٍ بعثه اللّه إلى أهل الأرضِ منَ المشركين عبدةِ الأصنام، أنَّه قال لقومه إنِّي مُخوِّفٌ ومحذِّرٌ لكم تحذيرًا واضحًا من عذاب اللّه وبأسِه، إن خالفتُم أمرَه سبحانه وعبدتُم غَيرَه، ومُوضِّحٌ لكم كذلك مُوجباتِ العذابِ ووجْهَ الخلاص، فآمنوا باللّه وأطيعوا أمرَه سُبحانه[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دَلالةُ الواو في ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا﴾:

عطْفُ الموعظةِ بالقَصصِ على الإنذارِ لزيادةِ وعيدِ الكافرين

الواوُ ابتدائيَّةٌ، وقد عطفَت قولَه: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا﴾ على ما جاء في مطلع السُّورة من قوله: ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢﴾ [هود: 2] إذ هو إقرارٌ بنبوَّة النَّبيِّ ﷺ ورسالته، فهي من باب عطفِ القصَّة على القصَّة، فقولُه تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا﴾ هو انتقالٌ من إنذارِ المشركين ووصْفِ أحوالِهم وما ناسبَ ذلك إلى موعظتِهم بما أصاب المُكذِّبين قبْلَهم منَ المصائب، وفي ذلك تسليةٌ للنَّبيِّ ﷺ بما لاقاه الرُّسلُ عليهم السلام قبْلَه من أقوامِهم[5]. والمعنى: واتلُ عليهم نبأ

(1) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (بان).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بان).
(3) الأزهري، تهذيب اللغة: (بان).
(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/132، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 380.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/43.

نوحٍ؛ يعني: إنْ لم يتَّعِظوا بما ذكرت، فاتْلُ عليهم خبرَ نوحٍ[1]، فالآيةُ فيها تمثيلٌ لقريشٍ وكفَّارِ العرب، وإعلامٌ بأنَّ محمّدًا ﷺ ليس ببِدعٍ منَ الرُّسل[2].

الغرضُ من القسَمِ في ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾:

زيـادةُ التّوكيدِ مناسِبٌ لشدّةِ إنكارِ الكافرين

قولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ جوابٌ لقسَمٍ محذوفٍ؛ أي: واللّه لقد أرسلنا نوحًا إلى قومه. والدَّليلُ على هذا القسَم وجودُ لامِه في بدء الجملةِ[3]، وأُكِّدتِ الجملةُ بلام القسَم و(قد)؛ لأنَّ المخاطَبين لمَّا غفلوا عنِ الحذر ممَّا بقوم نوحٍ مع مماثلة حالِهم؛ نُزِّلوا منزلةَ المنكِر لوقوعِ رسالتِه[4]، وقد كان للقسَم عند العربِ منَ التَّأثير في تأكيد الكلامِ ما لا يخفَى على عالِمٍ بحالِهم ولغتِهم وطرائقِهم في التَّعبير[5].

سرُّ إسنادِ الفعلِ في ﴿أَرْسَلْنَا﴾:

الرُّسلُ صلواتُ اللـه عليهم أرسَـلَـهُـمُ العظيمُ ﷻ

أُسنِدَ الفعلُ إلى نون العظَمةِ في قوله تعالى: ﴿أَرْسَلْنَا﴾ لبيان كمالِ العنايةِ بأمرِ الإرسالِ، ولتشريفِ الرَّسول وتعظيمِ الرِّسالة، ولإبرازِ غايةِ التَّشنيع على مَن يجحَدُها. فقولُه تعالى: ﴿أَرْسَلْنَا﴾؛ "أي: بما لنا منَ العظَمة"[6]، فويلٌ لمَن يكفرُ بها أو يُعرضُ عنها، أو يَفتري على اللّه كذبًا فيقولُ: ما أرسلَ اللّه مِن رسولٍ، وما جاءنا مِن بشيرٍ ولا نذيرٍ!

معنى حرف الجرّ ﴿إِلَىٰ﴾ ودَلالتُه:

أدّى نـوحٌ عليه السلام الأمـانـةَ وبـلّـغَ الـرّسـالـةَ إلى قومِه

الأصلُ في (إلى) أن تكونَ لانتهاء الغايةِ[7]، فهذا المعنى هو أصلُ

(1) السمرقندي، بحر العلوم: 2/145.
(2) الثعالبي، الجواهر الحسان: 3/279.
(3) طنطاوي، الوسيط: 7/189.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/43.
(5) رشيد رضا، تفسير المنار: 12/52.
(6) البقاعي، نظم الدرر: 9/265.
(7) السامرائي، معاني النحو: 3/16.

معانيها[1]، وقد أفادت أنَّ رسالةَ نوحٍ ﷺ ونذارتَه قد انتهت إلى قومه، فبلغَتْهم ولم تقصرْ عنهم، وفيها إقامةٌ للحُجّة عليهم وتعذيبُهم.

سرُّ الإضافةِ في ﴿قَوْمِهِۦٓ﴾:

يُصْطفَى الرّسولُ منَ النّاس الذين يُرسلُ إليهم، فهو ليس غريبًا عنهم

قومُ الرَّجل: هم أقرباؤه الذين يجتمِعون معه في جَدٍّ واحدٍ، وقد يقيمُ الرَّجلُ بين الأجانب فيُسَمّيهم قومَه مجازًا للمجاوَرة[2]، فقوله تعالى: ﴿قَوْمِهِۦٓ﴾؛ أي: الذين هم على لسانِه[3]، الذين يألفُهم ويألفونَه، ويعرفون مقامَه فيهم، ونسبَه منهم، وقد ناداهم نداءَ الحدبِ عليهم المُحبّ المُنذرِ لهم[4].

بَلاغةُ حذْفِ فعلِ القولِ ودَلالتُه:

حذفُ القولِ لإيجازِ واستحضارِ المَشْهَدِ

قولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى﴾؛ أي: فقال: إنِّي؛ لأنَّ في الإرسال معنى القولِ[5]. وحذْفُ فعْلِ القولِ مع بقاء المَقولِ كثيرٌ في القرآن، وهو يؤدِّي المعنى بأقصر طريق، وأقوى تحقيق، ويصرفُ الانتباهَ إلى المَقول لأهميَّته، كما أنَّه يلخِّصُ وظيفةَ الرِّسالة كلِّها ويُترجمُها إلى حقيقةٍ واحدةٍ: ﴿إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

موقعُ جملةِ ﴿إِنِّى﴾ ودَلالتُه:

الرّسولُ مُحذِّرٌ لقومِه منَ العذابِ

جملةُ: ﴿إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ في محلِّ نصبٍ مقولِ لقولٍ مقدَّر، والقولُ المقدَّرُ حالٌ من ﴿نُوحًا﴾[6]، وهذا قد جعل الجملةَ في موقع الاستئنافِ البيانيِّ النَّاشئِ عنِ السُّؤال المقدَّرِ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾، فكأنَّ سائلًا قال: وما أوَّلُ ما قال نوحٌ لقومه؟ وماذا كان شأنُه معهم؟ فجاءت الإجابةُ: ﴿إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: "يا

(1) المرادي، الجنى الداني، ص: 385.
(2) طنطاوي، الوسيط: 7/189.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 9/265.
(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3698.
(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 9/22.
(6) محمود صافي، الجدول: 6/248.

قومُ إنِّي لكم محذِّرٌ تحذيرًا واضحًا من مُوجبات العذابِ التي تتمثَّلُ في عبادتِكم لغير اللَّه تعالى"[1].

تنوُّعُ القراءاتِ في ﴿إِنِّي﴾:

أُرسِلَ نوحٌ لإنذارِ قومِه منَ العذاب

تنوّعتِ القراءاتُ في قوله: ﴿إِنِّي﴾، فقرأ عامَّةُ قُرَّاء الكوفةِ وبعضُ المدنيِّين بكسر (إنَّ) على وجه الابتداء؛ إذ كان في الإرسال معنى القول. وقرأ بعضُ قُرَّاء أهل المدينةِ والكوفةِ والبصرةِ بفتح (أنَّ) على إعمال الإرسالِ فيها، كأنَّ معنى الكلام عندهم: لقد أرسلنا نوحًا إلى قومه بأنِّي لكم نذيرٌ مبين[2]. فقراءة ﴿إِنِّي﴾ بكسر الهمزة على أنَّه محكيٌّ بفعل قولٍ محذوفٍ في محلِّ حال، أي: قائلًا. وقراءةُ (أني) بفتح الهمزة على تقدير حرف جرٍّ، وهو الباءُ للملابسة؛ أي: أرسلناه مُتلبِّسًا بذلك؛ أي؛ بمعنى المصدرِ المَنسبك من (أنِّي نذير)؛ أي: متلبِّسًا بالنِّذارة البيِّنة[3]، فكأنَّ القراءةَ الأولى تعني الرِّوايةَ عن قصَّة البلاغِ، والقراءةَ الثَّانية تحدِّدُ مضمونَ الرِّسالة[4].

سِرُّ توكيدِ الجُملة بـ ﴿إِنِّي﴾:

توكيدُ مضمونِ الرِّسالةِ مُناسبٌ لإعراض الكافرين وإنكارِهم

أُكِّد قولُه: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ بـ (إنَّ) المشبَّهةِ بالفعل، وفائدةُ التَّوكيد بها إفادةُ التَّحقيق مع تجنُّب التَّكرار؛ إذ إنَّها تنوبُ مَنابَ تكريرِ الجملة، فتُؤدّي المعنى مُوجزًا بلا تكرير في اللَّفظ، مع حصول الغرضِ منَ التَّأكيد[5].

معنى اللَّام ودَلالتُها في ﴿لَكُمْ﴾:

نوحٌ عليه السلام مُرسلٌ لإنذار قومِه خاصَّةً

اللَّامُ تفيدُ الاختصاصَ، وهذا هو أصلُ معانيها[6]. فقوله تعالى: ﴿لَكُمْ﴾؛ أي: خاصَّةً[7]، وهذا الاختصاصُ يُؤدّي معنى جليلًا، وهو أنَّ

(1) طنطاوي، الوسيط: 7/189.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 12/378.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/44.
(4) الشعراوي، الخواطر القرآنية: 10/6425.
(5) ابن يعيش، شرح المفصَّل: 4/526.
(6) المرادي، الجنى الداني، ص: 96، والسامرائي، معاني النحو: 3/64.
(7) البقاعي، نظم الدرر: 9/265.

اللَّه ﷻ لم يترك النَّاسَ سُدًى، بل بيَّن لهمُ الطَّريقَين، وهداهمُ النَّجدَين، وأمرَهم بالتَّوحيد والإيمانِ، ونهاهُم عنِ الكفر والعصيانِ، وأنَّه تعالى أرسل لكلِّ أمَّة رسولًا يعرفونَه ويفهمونَه يُخبرُهم بمرادِ اللَّه منهم لئلَّا يكونَ للنَّاس على اللَّه حجَّةٌ بعد الرُّسل، وكان حَريًّا بقوم نوحٍ أن يُعظِّموا نعمةَ اللَّه عليهم إذ أرسلَ لهم وحدهم خاصَّةً رسولًا منهم يبيِّنُ لهم، ولكنَّهم كفَروا فاستحقُّوا أشدَّ العذاب، وهذا تحذيرٌ للكافرين المخاطَبين مِن أُمَّة النَّبيِّ ﷺ.

الغرضُ من تقديمِ ﴿لَكُمْ﴾ على خبرِ إن:

غالبًا ما يكونُ التّخصيصُ لازمًا للتّقديمِ

قُدِّم الجارُّ والمجرورُ في قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ على خبرِ (إنَّ) بحيث فَصلَ بين اسْمِ النَّاسخ وخبرِه، لإفادة التَّخصيصِ الذي هو لازمٌ للتَّقديم غالبًا[1]، فقوله: ﴿لَكُمْ﴾؛ أي: لكم أنتم خاصَّةً، وفي هذا غايةُ الرِّفق في النُّصحِ، والإشفاقِ في البلاغ.

دَلالةُ تنكيرِ الخبرِ ﴿نَذِيرٌ﴾:

نوحٌ عليه السلام أحدُ الرّسلِ الكثيرين الذين كُذِّبوا

جاء المُسندُ في قوله: ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ نكرةً لقصد الإخبارِ بثبوتِ المُسنَدِ للمسنَدِ إليه من غير إرادةِ عهدٍ أو تخصيصٍ[2]، فكأنَّه عليه السلام قال لهم: إنِّي لكم نذيرٌ من نُذُر اللَّه الكثيرين الذين لا يعلمُ عدَّتَهم إلَّا هو سُبحانه، فآمنوا بي، وبكلِّ نذيرٍ يأتيكم مِن ربِّكم.

الغرَضُ من وصْفِ الخبرِ بـ ﴿مُّبِينٌ﴾:

بيَّن نوحٌ عليه السلام لقومِه مُوجباتِ العذابِ، ووجْهَ الخلاصِ منه

الإبانةُ: إظهارُ المعنى للنَّفس بما يمكنُ إدراكُه، وأصلُه القطعُ، فالإبانةُ: قطعُ المعنى مِن غيره لِيظهرَ في نفسه[3]، فقولُه: ﴿مُّبِينٌ﴾ بمعنى أنَّه بيَّنَ ذلك الإنذارَ على الطَّريق الأكملِ والبيانِ الأقوى الأظهرِ[4] بيانًا زالَ به الإشكالُ[5]، وفيه بيانٌ لكمالِ الحُجّة.

(1) أحمد شعيب، بحوث منهجية في علوم البلاغة، ص: 278.
(2) حسن إسماعيل، البلاغة الصافية، ص: 144.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 9/268.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/336.
(5) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 380.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الإرسالُ والبعثُ:

البعثُ أشدُّ منَ الإرسالِ

الرّاء والسّين واللّام أصلٌ واحدٌ مُطّردٌ مُنقاسٌ، يدلُّ على الانبعاثِ والامتدادِ[1].

والرِّسْلُ: الانبعاثُ على التّؤَدةِ، ومنه: الرَّسولُ المُنبعثُ، وتُصوّرَ منه تارةً الرِّفقُ، فقيل: على رِسلك، إذا أمرته بالرِّفق، وتارةً الانبعاثُ؛ فاشُتقّ منه الرَّسولُ[2].

والباء والعين والثّاء أصلٌ واحدٌ، وهو الإثارةُ[3]؛ فأصلُ البعث الإثارةُ والتّوجيهُ[4].

ويفترقُ الإرسالُ عنِ البعث بأنَّ الإرسالَ: يكونُ بإرسال شيءٍ جديدٍ؛ أي: برسالةٍ جديدةٍ، أو منهجٍ جديدٍ، أو تغيّرٍ، أو تعديلٍ في المنهج السّابقِ، حسبَ الزّمان والمكانِ. أمّا البعثُ: فهو إحياءُ منهجٍ كان موجودًا سابقًا، وغفلَ عنه النّاسُ، فإذا أراد اللّه ﷻ إحياءَ نفسِ المنهج الذي غفلَ عنه النّاسُ، بعث اللّه رسولًا أو نبيًّا لإحياء معالمِ ذلك المنهجِ السّابقِ الذي اندثرَ[5].

والإرسالُ: لا يصاحبُه إثارةٌ ولا تهييجٌ ولا حثٌّ كما في البعث. أمّا البعثُ: فيصاحبُه إثارةٌ وحضٌّ وتهييجٌ على القيام بالعمل، وحثٌّ عليه[6]. والإرسالُ: يكون من مكانٍ إلى مكانٍ، أو إلى مكان جديدٍ. أمّا البعث فيكونُ إلى نفس المكان، أوِ القرية، أوِ المدينةِ[7].

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رسل).
(2) الرّاغب، المفردات: (رسل).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بعث).
(4) الرّاغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (بعث).
(5) محمد الهلال، تفسير القرآن الثري الجامع: 1/221.
(6) محمد الهلال، تفسير القرآن الثري الجامع: 1/221.
(7) محمد الهلال، تفسير القرآن الثري الجامع: 1/221 - 222.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40 [إشراف
مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 20 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-17-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 20 : المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-17-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6073958 بتاريخ 2024/02/06م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»